كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعي، رئيس جامعة القدّيس يوسف، بمناسبة إطلاق قاعدة بيانات www.lebanon flora.org

ومشروع "تحديد المساحات الواسعة للنباتات وإنشاء محميّات مصغّرة للحفاظ على النباتات النادرة أو المتجذّرة في التربة اللبنانيّة"،

في ٢٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٣ في تمام الساعة الخامسة من بعد الظهر، في قاعة فرانسوا باسيل حرم الابتكار والرياضة (CIS).

بمناسبة إطلاق موقع الزهور البريّة والداجنة في لبنان ومشروع تحديد مساحات واسعة من مناطق محميّة من النباتات النادرة في لبنان، أتوجّه في بادئ الأمر إلى المسؤولين عن هذه المبادرة، من هم في الواجهة ومن يعمل في الخفاء، إلى عميدة كليّة العلوم، السيّدة ماجدة بو داغر وفريقها لأعبّر لهم عن فرحي العامر لرؤية وسيلة الاتّصال هذه تؤدّي إلى إثراء بلادنا. إنّها الزهرة وما تمثّله من جمال وعطر ومنفعة وخطر. إذا كان التنوّع بلدًا، سوف يحمل هذا البلد بلا شكّ اسم لبنان، فتأتي زهوره بتنوّعها الانهائي لتأكيد هذا التنوّع الذي يصنع الجمال. لبنان، بفسيفسائه الثقافيّة والدينيّة والعرقيّة والسياسيّة، يقدّم مساحته الصغيرة كمنظر من المناظر الطبيعيّة المتنوّعة جدًّا. النباتات والحيوانات الغنيّة والمتنوّعة تحتلّ وديانه وتلاله ومستنقعاته وسهوله و شواطئه الصخريّة والرمليّة. من هنا، اسمحوا لي أن أطلعكم على بعض الأفكار إنطلاقًا من مشروع الموقع هذا المكرّس للنباتات.

١) بما أنّ لبنان مركز الحضارة الإنسانيّة منذ ملايين السنين، دفع ثمنًا باهظًا لتدهور التنوّع البيولوجي فيه. لهذا السبب، يُعتبَر لبنان اليوم "البقعة الساخنة" للتنوّع البيولوجي، لأنّ هذا التنوّع غنيّ ومهدّد. هذا الموقع هو وسيلة لحماية وتعزيز العيش بين الزهور والدعوة إليه.

٢) لطالما اهتمّ علماء النبات في العالم بالنباتات الغنيّة هذه، ونحن نفخر بأن نتبيّن أنّ العديد منهم كانوا ينتمون إلى هيئة التدريس في جامعة القدّيس يوسف، وأنّ العديد بينهم من الآباء اليسوعيين. في مجموعة الصور التي أملكها، ومن دون أن أكون عالم نبات، أعتقد أنّ ٢٠ في المئة من صوري هي صور تزهو بالزهور. نذكر من علماء النبات المشهورين الأب ليون فنسنت اليسوعي، أوّل رئيس لمنبر علم النبات في كليّة الطب (حوالى العام ١٨٨٣)، والأب لويس Bouloumoy 1926 – ...)، أستاذ في جامعة القدّيس يوسف و كليّة الطب الفرنسيّة. وكان الأب Bouloumoy عالم نبات ذات قيمة عالية. وكان قد خصّص لنباتات لبنان كتابًا قال فيه رئيس لجنة التحكيم إلى مستشار الكليّة : "إذا أصدرت كليّتكم هذا المجلّد وحده، فلسوف يكتفي به من أجل تعزيز شهرته". من ثمّ، سوف يأتي من لا يزال إلى تاريخ اليوم الشخص الذي نُشر له في النباتات ٦ مجلّدات (٣ للنص و ٣ للّوحات) وهو مرجع للبنان في عالم العلم، وهو الأب بول Mouterde 1892–1972).

٣) جاء هذا العمل المخصّص للنباتات من إلهام شخصي، ولكنّه كان دائمًا موضع دعم وتقدير من قِبَل المؤسّسة. في مقدّمة كتابه "نباتات لبنان وسوريا"، كتب الأب Mouterde : "إنّ الدعم المتواصل من رؤساء جامعة القدّيس يوسف الذين سمحوا بهذا العمل وأرادوه، ساهم بقوّة في إنجازه. إنّ الجهد المستمرّ الذي كان يتطلّبه هو من إحدى الجهود التي لا يمكن الحفاظ عليها إذا لم تكن إلى حدّ ما على الأقلّ، جهودًا تمّ توجيهها بعناية." هذا الدعم ليس متواصلاً فحسب لكنّه أصبح تقليدًا ومحورًا استراتيجيًّا في جامعة القدّيس يوسف ؛ كلّ ما يتعلّق بإبراز قيمة تراثنا اللبناني هو جزء من الرؤية الاستراتيجية لجامعة القدّيس يوسف.

٤) لربّما تغيّرت رحلات الاستكشاف من حيث الدرجة والميزانيّة والهدف، ولكن لذّة الاكتشاف لا تزال نفسها. لدى علماء اليوم، بالإضافة إلى عبء التعليم والبحث، مهمّة التواصل وخاصّة في مجال البيئة. فعليهم تقع مسؤوليّة التوعية. لديهم المعرفة، وهم يعرفون المجازفات والعواقب، وعلى عاتقهم تقع مسؤوليّة التواصل والتوعية لإنقاذ ما هو غير قابل للاسترداد. هدف جامعة القدّيس يوسف يكمن في تطوير الأدوات المبتكرة بشكل جيّد، فلم يعد من الضروري تبيان هذا الأمر. فنحن نستمرّ في القيام بذلك. إنّ مشاركة وحدة التقنيّات التربويّة الحديثة UNTE التي طوّرت بعض الأدوات كالاختبارات والمسابقات في هذا الموقع تؤكّد هذه السياسة التي تدعم التعليم والبحث ومشاريع إقامة النشاطات على صعيد الحياة الطلابيّة في جامعة القديس يوسف.

٥) لهذا السبب، يُعتبر إنشاء قاعدة البيانات هذه موضع ترحيب، واعتماده من قِبَل مرصد البيئة من المركز الوطني للبحوث العلميّة CNRS اللبناني هو دليل آخر إضافي على أنّ مثل هذا المشروع هو أمنية وموضع تشجيع. وُضِعَت قاعدة البيانات وتبلورت في كليّة العلوم في جامعة القدّيس يوسف ولكنّ المجتمع العلمي بأكمله ومحبّو النباتات في لبنان هم الذين يقومون بإثراء قاعدة البيانات هذه والاستفادة منها. قبل إنشاء قاعدة البيانات الإلكترونيّة e–flore du Liban للنباتات في لبنان، كانت المعلومات عن النباتات في لبنان مبعثرة ويتعذّر الوصول إليها. إنشاء قاعدة البيانات هذه والجهود المبذولة لجعل واجهة استعمالها سهلة الاستخدام ومتاحة مجّانًا لجميع الأطراف المعنيّة وتشكّل حقا ثورة في هذا المجال. الهدف الرئيسي من المشروع هو جمع بيانات عن النباتات في لبنان موجودة لدى العلماء أو ذوي الخبرة بغية إثراء قاعدة البيانات والحصول على نظرة شاملة على نمط توزيع هذه النباتات. في المرحلة الثانية، يجب جمع هذه البيانات مع البيانات غير الحيويّة (التربة وهطول الأمطار ، الخ ...) لفهم أفضل لهذا التوزيع وتوقّع ردود الفعل على التغييرات المناخيّة المتوقّعة .

هذه البيانات هي بمثابة معلومات ووثائق ذات جودة ونوعيّة تمّت مراجعتها من قِبَل خبراء وموضوعة بتصرّف المعلّمين والباحثين وصانعي القرارات من أجل النهوض بالعلم وخصوصًا من أجل اتّخاذ قرارات مستنيرة لحماية النباتات. لم يكن لهذا المشروع أن يبصر النور لولا وجود هواة شغوفين ومحترفين في الزهور كرّسوا الوقت اللازم لتحقيق أحلامهم. وكان هذا الإنجاز ممكنًا بفضل الدعم المعنوي والمادي من قِبَل الشركات العالميّة مثل BIOVEG واليونسكو وL’Oréal وBrain Grain initiative.

في الختام، أقول إنّ العمل من أجل الزهور وحمايتها و الحفاظ عليها، هو شبيه بالعمل على حماية الأطفال، هذه الكائنات الضعيفة إلاّ أنّها ثمينة. إنّه لعمل علمي بارز أن نعرف الحفاظ على النباتات في الوقت الذي يميل فيه العالم إلى قطع بعض الأشجار المتجذّرة في القدم. إنّه أيضًا عمل انساني جدًّا ومتجذّر في ذاكرتنا وفي وعينا. أسوةً بالأمّ التي تودّ حماية طفلها، وأسوةً بالله الذي يريد أن ينقذ خلقه، لنكن مسؤولين وعاشقين لبيئتنا الحيويّة التي نعيش فيها. هذا الموقع وما يحتويه المشروع يستحقّ الدعم والتقدير من قِبَل مجتمعنا العلمي والأكاديمي. إنّها إحدى قضايانا في جامعة القدّيس يوسف وفي المركز الوطني للبحوث العلميّة ولدى الشركاء الأصدقاء، لكي تحيا الطبيعة ويبقى لبنان أبديًّا.